الباب الثاني
الإشـــراف التربـوي

تطوير مفهوم الإشراف التربوي

كان يطلق على الإشراف التربوي قديماً(التفتيش) وهي تعني البحث عن جوانب التقصير أو الضعف لدى المعلم ومن ثم محاسبته على الأخطاء أو النواقص التي يجدها المفتش لدى المعلم عند زيارته له. وعادة ما تتصف هذه الزيارات بالمفاجئة والسرعة. وعلى ضوء ذلك يعد المفتش تقريره عن المعلم، لتقويمه فيعكس في هذا التقرير انطباعاته الشخصية دون الاعتماد على أسس علمية أو موضوعية.

لقد تطور مفهوم الإشراف التربوي وتطورت فلسفته وأساليبه تطوراً واضحاً وكبيراً في السنوات الأخيرة نتيجة مختلف الجهود التي سعت إلى تطوير النظام التربوي ورفع كفايته في نحو يؤدي إلى تطوير نوعية التعلم ورفع مستواه. فقديماً كان التفتيش وكان المفتش، وكانت ممارسة التفتيش والمفتشين تقوم على أساس استخدام السلطة، ورسم الأهداف، وتحديد الخطط والإجراءات الإدارية في المدرسة والتعليمية في غرفة الصف، وامتحان التلاميذ ورصد الأخطاء وتوجيه النقد واتخاذ الإجراءات الإدارية بحق المخالفين الذين يخرجون عن نطاق ما حدد لهم، وعليه كانت النظرة إلى التفتيش والمفتشين يملؤها الخوف والرهبة، وكانت العلاقة بينهم وبين المدارس والمعلمين علاقة سلبية لا مودة فيها ولا ثقة.

ونتيجة للتطور في الفكر التربوي فيما يتعلق بفلسفة التربية وأهدافها، وبمراحل النمو ومبادئه ونظريات التعلم، وبالأصول المرعية في العلاقات الإنسانية وديناميكية الجماعة، وأساليب الاتصال وتطور علم النفس والعلوم الاجتماعية

والسلوكية الأخرى، فقد طرأ تغير في مفهوم الإشراف التربوي وتطورت أهدافه وأخذ ينظر إليه على إنه عملية تفاعل إنسانية تهدف إلى تحسين عمل المعلم وأدائه ومساعدته في تنمية وحل مشاكله ويؤكد هذا المفهوم على التعاون بين المشرف التربوي والمعلم في إطار الاحترام والعلاقات الإنسانية السليمة.

في ضوء ما تطور إليه الأشراف التربوي من التفتيش إلى التوجيه التربوي إلى الإشراف التربوي، يمكن تحديد مفهوم العملية الإشرافية وطبيعتها وعلاقتها بالتعلم والعليم، فهدف الإشراف التربوي اليوم، تحسين العملية التعليمية بكل جوانبها.

فتحسين أداء المعلمين سيؤدي بالضرورة إلى تحسين تنفيذ المناهج الدراسية، وتطوير تعليم التلاميذ، وإلى الاهتمام بكل الموقف التعليمي، وإحداث التغيير الايجابي المرغوب في مختلف عناصره، في المعلم والمتعلم والمنهج والبيئة والتسهيلات المدرسية، وعلى هذا الأساس يجب إعداد ملاكات إشرافية كفوءة ومؤهلة.

لقد مر الإشراف التربوي بمراحل عديدة أخذت كل منها شكلاً خاصاً ويمكن أن نلخصها بالآتي:-

1. مرحلة الإشراف كتفتيش:

وكانت الزيارة الصفية في هذه المرحلة الأسلوب الرئيسي الذي أستخدمه المفتش بهدف متابعة عمل المعلم وتقويمه.

فكانت أداة التفتيش ووسيلته وأسلوب الزيارات (المفاجئة) للوقوف على حالة المدرسة وحضور الحصص، والاستماع إلى شرح المعلم وإلقائه، وتلمس عيوب المعلم، وتسجيل الأخطاء، والإبلاغ عنها رسمياً. الأمر الذي أدى إلى تكوين اتجاهات سلبية نحو التفتيش والمفتشين عند المعلمين.

1. يفترض إن المفتش يتفوق في إعداده ومؤهلاته على سائر المعلمين فيحق له أن يعلمهم كيف يدرسون ولماذا يدرسون.

2. إن التفتيش يعتقد بوجود طرق معينة ناجحة للتدريس يعرفها المفتش وحده ويقدمها للمعلمين بشكل أوامر مفروضة عليهم.

3. يفترض التفتيش إن المعلم هو الحلقة الأضعف في البرنامج التعليمي وبحاجة للنصح والمتابعة.

4. إن المفتش هو صاحب السلطة الأول مما يجعله يلجأ إلى القسوة والتسلط ومفاجأة المعلمين وعدم احترام آرائهم

5. إن تقويم أداء المعلم من قبل المفتش أعتمد نتائج التلاميذ من خلال زياراته الصفية الأساس الوحيد لكفاءة المعلم.

وقد أدى التفتيش إلى نتائج سلبية تمثلت فيما يأتي:

1. تكوين اتجاهات سلبية عند المعلمين نحو عملية التفتيش.

2. إن الافتراض بأن المفتش يعرف أفضل طرق التدريس قد أغلق أمام المعلمين روح المبادرة والابتكار والتجريب للبحث عن طرق تدريس مناسبة والاكتفاء بالتطبيق الحرفي لأوامر المفتش.

3. انتشار جو الخوف والتوتر عند المعلمين وانعدام الثقة في المفتش وبهذا تضعف الصلة بين المفتش والمعلم وتبعد المسافة بينهما وتضيع فرص التعاون والتفاعل بينهما مما يحد كثيراً من تحقيق أهداف الأشراف التربوي المنشودة.

2. مرحلة الإشراف كتدريب وتوجيه:

وقد دخل الأشراف التربوي مرحلة أخرى بالاعتراف بضرورة الأخذ بالتدريب والإرشاد والتوجيه، وتتميز هذه المرحلة باعترافها بالحاجات وخاصة حاجات المعلمين الأساسية لتحقيق برامج التعليم لكن لم تعرف مفاهيم النمو الذاتي ومشاركة المعلمين وتدريبهم على القيادة الاهتمام اللازم، فبقيت قاصرة عن تحقيق الآثار الإيجابية المرجوة في تحسين عمليتي التعليم والتعلم.

3. مرحلة الأشراف كعملية ديمقراطية شاملة:

إن الإشراف التربوي عملية ديمقراطية تعاونية طرفها المشرف التربوي المعلم تهدف إلى اكتشاف وتفهم أهداف التعليم، ومساعدة المعلم ليتقبل هذه الأهداف، ويعمل على تحقيقها. والمشرف في إطار هذا المفهوم قائد تربوي يهتم بنمو المعلم وتطوره ومساعدته على حل مشكلاته. إن هذا المفهوم للإشراف التربوي يتميز بأنه يقوم على التعاون بين المشرف التربوي من جهة والمعلم من جهة أخرى. وهذا المفهوم يرفض التسلط، لذلك يحترم الاختلاف في الرأي ويعترف بالقيمة الحقيقية لكل اجتهاد.

ويهدف الإشراف التربوي الشامل إلى تحسين العملية التعليمية. فهو يولي اهتمامه لجميع عناصر التعليم والتعلم، والتي تتضمن المعلم والتلميذ والمنهج. والعملية الإشرافية. من هذا المنطلق، هي عملية التفاعل بين المشرف والمعلم، وبقدر ما يكون هذا التفاعل مفتوحاً، بقدر ما يتوفر للمعلم من الطمأنينة التي تساعد على تعديل سلوك المعلم التعليمي واتجاهاته نحو الإشراف التربوي وهذا ما تفتقر إليه المراحل الإشرافية السابقة. فالإشراف من هذا المنطلق عملية تعاونية تشخيصية تحليلية علاجية مستمرة ومن جهة أخرى فإن هذه المرحلة تؤمن بأن الإشراف عملية علمية، ترتبط بالتربية والإدارة معاً، فهي استخدام للمنهج العلمي ونتائج العلوم المختلفة في الإشراف التربوي.

وفيما يلي أهم التطورات الحديثة للإشراف

أولاً: الإشراف التربوي نظير للتعليم:

طبقاً لهذا الاتجاه فإن الأشراف هو إجراءات يقوم بها أناس في النظام التربوي تؤثر في السلوك التعليمي للمعلمين يكون المشرف التربوي هو أحد المعلمين وأنه يمكن أن يفهم دوره أكثر عندما يتم توضيح عملية التعليم نفسها حيث إن العملية التعليمية تتكون من ثلاث عناصر أساسية هي نطلق عليها بالمثلث التعليمي (المنهج – المعلم – التلميذ) وإن هناك علاقة بين المعلم والمنهج المدرسي تتطلب فهم المعلم لمتطلبات المنهج وأدواته ودوره في تحسين المنهج وتطويره كما أن العلاقة بين التلميذ والمعلم تفرض قيام المعلم بتشخيص حاجات التلميذ لتحقيق النمو والتعلم الأفضل.

ثانياً: المشرف باعتباره تطوير للمعلم:

وهذا يتطلب منه التركيز على المعلم بهدف تقويمه حيث يحاول المشرف التربوي تعريفه ببيئة العمل، عن طريق توضيح قواعد العمل المدرسي وتقاليده، في ممارسة المشرف لهذا الدور يرى نفسه أنه شخص يقوم بمساعدة المعلم ليساعد بالتالي نفسه ويتضمن هذا افتراض أن المعلم يمتلك القدرة والاهتمام ليعمل بشكل جيد.

ثالثاً: الإشراف الشامل:

يعد الإشراف التربوي الشامل الاداة الفاعلة لتشخيص الموقف التعليمي فالإشراف إذن هو الجهود الدائمة، المنظمة، التي ترمي إلى مساعدة المدرس وتوجيهه، وتشجيعه على تنمية ذاته، وهذه التنمية التي تتحقق بعمله المتواصل، على أسس سليمة مع طلابه لتحقيق الأهداف التربوية المطلوبة.

فهو إذن عملية علاقة متبادلة تؤدي إلى نجاح وتقدم الخبرات التعليمية

إن أهم مميزات المفهوم الحديث للإشراف التربوي هي:

1. إنه عملية ديمقراطية تعاونية منظمة، تقوم على أسس التخطيط العلمي والتقويم الجماعي.
2. إنه يشمل جميع عناصر العملية التربوية ويعمل على تحسينها، وتطويرها، وتغييرها في الاتجاه الإيجابي.
3. يستعين بأساليب ووسائل ونشاطات متعددة ومتنوعة، كالزيارات الصفية، والمدرسية وتبادل الزيارات والخبرات.
4. يحترم جميع العاملين في الحقل التربوي ويراعي الفروق الفردية القائمة بينهم.
5. يؤكد على أهمية مساعدة المعلمين والعاملين التربويين الآخرين في النمو المهني المستمر وأهمية تحسين مستوى أدائهم.
6. إن سلطة المشرف التربوي تستمد من قوة أفكاره وموضوعيتها ومن مهارته وخبراته المتجددة.
7. الايجابية والعمق اللتين تعتمدان على نموذج التواصل المفتوح في حوار المشرفين التربويين وتفاعلهم الذي يؤدي إلى تغير سلوك المعلمين التعليمي في داخل الصف.